The critical efforts of syntacticians on the issue of the connection of pronunciation with meaning

Moein Khalif Muslim Al-Qaraleh
Civil Defense College
Al-Balqa Applied University, Jordan
mueenalgaralleh@gmail.com

Received : 14/7/2024 Accepted :25/2/2025

Abstract:

This study is concerned with revealing the attention syntacticians paid to the relationship of pronunciation to meaning, and its impact on producing connotations that contribute to understanding literary discourse and expanding the field of interpreting meanings with it. They paid attention to the duality of pronunciation and meaning in terms of correlation, and the lack of separation between them in the Holy Qur'an and poetry, contrary to the position of the Mu'tazilites and theologians, and those influenced by them. Among the critics and some syntacticians who called for the separation between pronunciation and meaning on the one hand, and the rational meanings apparent through the pronunciation alone on the other hand, the syntacticians became familiar with the meanings of the Qur'an and its metaphors, and in criticizing poetry. Their opinions emerged through their explanations of collections and poetic anthologies.

This study demonstrates the syntacticians understanding of this dual relationship on several levels, and the resulting critical terminology that enriched the critical lesson with its various and special connotations at the levels of the connection between the word and the meaning and the separation between them, such as: (metaphor, representation, and inversion), (presentation and delay), (deletion and repetition), and (Hiding and revealing) and (compensation, disclosure, and metonymy), and in terms of the significance resulting from the relationship of the word to the meaning, such as: (quality of the word, bad word, arbitrariness of the word, sweet meaning, poor meaning, honor of the meaning, absurd, colloquial and cold meaning, integrity of the word, and corruption. Pronunciation and meaning) and finally in terms of the pronunciation adding to or subtracting from the meaning: (such as exposition and explicitness such as lengthening, elongation, taĥjil, indentation, completion) and etc. This study will clarify the concept of critical terminology that resulted from their precise understanding of the meaning of the term by comparing the opinions of syntacticians among themselves, according to chronology across the first five centuries of the AH, citing the opinions of non-grammar critics and comparing them with their opinions, and showing the aspects of syntacticians superiority over others in accurately understanding the meaning of the term.

Keywords:. critical terminology, grammarians, correlation, terms, meanings, criticism, arrangements.

جهود النحاة النقدية في قضية ارتباط اللفظ بالمعنى

معين خليف مسلم القرالة
كلية الدفاع المدني
جامعة البلقاء التطبيقية،الأردن
mueenalgaralleh@gmail.com

الاستلام: 2024/7/14 القبول 2025/2/25

الملخص:

تعنى هذه الدراسة بكشف عناية النحاة بعلاقة اللفظ بالمعنى، وأثرها في إنتاج دلالات تسهم في فهم الخطاب الأدبي، وتوسيع حقل تأويل المعاني به، فاهتموا بثنائية اللفظ والمعنى من جهة التلازم، وعدم الفصل بينهما في القرآن الكريم وفي الشعر، خلافًا لموقف المعتزلة والمتكلمين، ومَن تأثّر بهم من النقاد وبعض النحاة الذين نادوا بالفصل بين اللفظ والمعنى من جهة، وبالمعاني العقلية الظاهرة من خلال اللفظ منفردًا من جهة أخرى. فألّف النحاة في معاني القرآن ومجازه، وفي نقد الشعر، كما برزت آراؤهم من خلال شروحهم على دواوين الشعراء، وكتب المختارات الشعرية. وتبيّن الدراسة فهم النحاة هذه العلاقة الثنائية على مستويات عدّة، وما نتج عنها من مصطلحات نقدية أثرت الدرس النقدي بدلالاتها المختلفة والخاصة، على مستويات: صلة اللفظ بالمعنى والفصل بينهما مثل: (الاستعارة، والتمثيل، والقلب)، و(التقديم والتأخير)، و(الحذف والتكرار)، و(الإخفاء والإظهار)، و(التعريض والإفصاح والكناية)، ومن حيث الدلالة الناتجة عن علاقة اللفظ بالمعنى، مثل: (جودة اللفظ، واللفظ الرديء، وتعسُّف اللفظ، وحلو المعنى، ورداءة المعنى، وشرف المعنى، ومعنى سخيف عامي بارد، واستقامة اللفظ، وفساد اللفظ والمعنى)، وأخيرًا من حيث زيادة اللفظ على المعنى أو نقصه عنه: (كالتعريض والتصريح كالتطويل، والإطالة، والإيغال، والتحجيل، والتتليم، والتتميم) وغيرها. وستبيّن الدراسة مفهوم المصطلحات النقدية التي نتجت عن فهمهم الدقيق لدلالة المصطلح، من خلال مقارنة آراء النحاة فيما بينهم، حسب التسلسل الزمني عبر القرون الخمسة الهجرية الأولى، وإيراد آراء النقاد من غير النحاة ومقارنتها بآرائهم، وبيان أوجه تفوّق النحاة على غيرهم بالفهم الدقيق لدلالة المصطلح.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النقدي، النحاة، ارتباط، الألفاظ، المعاني، النقد القديم، النظم.

المقدمة.

جاء في تعريف النحاة الشّعر أنّ اللفظ والمعنى من مقوّمات الشّعر وأركانه التي يقوم عليها، وقد شكّلت هذه الثنائية جدلًا واسعًا في النقد الأدبي، وقد اختلفت الآراء في هذه الثنائية وتعدّدت، حسب التوجهات النقدية للنقاد والبلاغيين، وقد كان النحاة ممن أثاروا هذه القضية، وكانت لهم آراؤهم الواضحة الصريحة في الانتصار للعرب في عنايتهم بالألفاظ والمعاني، وعدم إهمال أحدهما على حساب الآخر.

وكان لنشاط النحاة النقدي الدور البارز في اختيار الموضوع، وتسليط دراسة متخصّصة تكشف مدى الأثر الذي تركه النحاة في توجيه ثنائية اللفظ والمعنى، فبعد البحث المطوَّل في ثنايا المصادر، لم يصل الباحث إلى دراسة مستقلة تناولت هذا الأثر بوجه مستقل؛ إذ توجد بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من بعض جوانبه، كدراسة بثينة القضاة: "المصطلح النقدي عند اللغويين النقاد من القرن الثاني حتى نهاية الرابع الهجري"، ودراسة وليد قصّاب: "التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري"، ودراسة علي أبو المكارم: "أصول التفكير النحوي"، ودراسة محمد عبد الفتاح الخطيب: "ضوابط الفكر النحوي"، زيادة على بعض الدراسات الأخرى التي جاءت فيها الآراء متهمةً للنحاة بالقصور عن النقاد في الحركة النقدية، وإخضاع الشعر لسلطانهم وفق معيارية صارمة، وقواعد جافّة، وبعض الدراسات التي خلطت آراء النحاة بآراء غيرهم دون الفصل بينها، وأخرى قد أنصفت النحاة ودافعت عنهم في بعض مفاصلها، مثل: دراسة أحمد مطلوب: "معجم النقد العربي القديم"، ودراسة خير الله علي السعداني: "مصطلحات نقدية أصولها وتطورها، ودراسة مصطفى فهمي: "الأسس اللغوية للمصطلح النقدي"، ودراسة محمد عزام: "المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي"، ودراسة قاسم المومني: "نقد الشعر في القرن الرابع الهجري".

وتسعى الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية: كشف الجهود الحقيقية للنحاة، ومدى أثرهم في توجيه الحركة النقدية للشعر، وبيان المستوى البلاغي للنص القرآني، وفق معايير نقدية واضحة ومقنّنة، تكشف الأبعاد الجمالية والبلاغية في القرآن الكريم والشعر العربي؛ إذ يسعى الباحث في هذه الدراسة لبيان مدى تفاعل النحاة مع الآراء النقدية للفرق والجماعات: كالشعوبيّة والمعتزلة والموالي، وأثرها في نزعة النحاة تجاه حفظ اللغة من اللحن والضياع.

وتهدف الدراسة إلى بيان عناية النقاد بآراء النحاة والاستناد إليها، عند تدعيم رأي نقدي، أو ترجيح رأي على آخر، أو دحض حجة أو رفضها، فأغلب المؤلفات النقدية قد تضمّنت آراء النحاة في المسائل النقدية، مع المقارنة بين آراء النقاد وآراء النحاة على مستوى دلالة المصطلح الخاص بهذه الثنائية، وتنوّع مفهومه، وبيان مدى التوجيه الأدقّ في بيان دلالته.

وقد اعتمدَ الباحث في معالجة هذا الموضوع على المنهج الاستقصائي التحليلي، القائم على استقصاء الرأي النقدي عند النّحاة كما ورد في مصادره، لجعلها المنطلق الأول في بناء الأحكام, وإبداء وجهات النظر حول المصطلحات الواردة في هذه الدراسة؛ إذ لا يمكن للباحث في هذه القضية إقصاء النص النقدي، أو التعليقات التي تركها النحاة في مؤلفاتهم، أو أوردها النقّاد في مؤلفاتهم النقدية، فكانت هي المنطلق في التحليل.

- **المبحث الأول : الرد على المعتزلة في تمكن اللفظ مفردًا، وفصله عن المعنى.**

تأثّر بعض النحاة بغيرهم من النقاد الذين وجّهوا ثنائية اللفظ والمعنى لخدمة التوجهات المذهبيّة لدى بعضهم، كالمعتزلة والمتكلمين ممّن فصلوا بين اللفظ والمعنى، وجعلوا لكلّ منهما صفات خاصة، فاضلوا من خلالها بين الألفاظ والمعاني، ولا سيَّما في الدراسات والمؤلفات التي اتّصلت بالقرآن الكريم ومعانيه وألفاظه، فقد آثر المعتزلةُ والمتكلّمون التأليف في معاني القرآن الكريم، فتأثّر بهم الأخفشُ وهو معتزلي، كما تأثر بهم الفرّاء وابن قتيبة. فألّف النحاة في معاني القرآن وألفاظه ردّاً على منهجهم، وخالفوهم في كثير ممّا ذهبوا إليه فيما يخصّ اللفظ والمعنى (Walid, 1985)، وقد شاع التأليف في معاني القرآن في القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ لأسلوبه المُعجز الذي لم يخرج عن أساليب العرب وعاداتهم في نظم الكلام، وكان طبيعيًّا أن يجمع أساليب العرب في التعبير في قواعدهم الفنّية (Amin, 2020).

وقد برزت لدى النحاة مصطلحات نقدية تتّصل بشكل وثيق بثنائية اللفظ والمعنى، حلّلوها ووقفوا عندها، وبيّنوا علاقة الصلة بين اللفظ والمعنى على مستوى التركيب ومستوى الجملة، وبيّنوا محاسن وعيوب كلٍّ منهما حين تفصل بينهما.

أورد الرماني (994) أنّ للّفظ مفردًا صفات يجب أن تتوافر فيه وفي حروفه عند النطق بها، فيكون بها متلائمًا في حروفه، فلا تكون بعيدة المخارج، ولا متنافرة، فالتلاؤم عكس التنافر، وقد بيّن الخليل أنّ التنافر يأتي من التباعد والتقارب الشديدين في مخارج حروف اللفظ، أو الألفاظ مجتمعةً؛ لأنّ البعد يكون بمنزلة مشي المقيَّد؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، والسهولةُ من ذلك في الاعتدال (Al-Rummani, 1976)، وقد تأثّر الرماني في هذا التعليل في باب التلاؤم، وجعل الفائدة من حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة (Al-Rummani, 1976)، وهذا التفسير يبين أثر الصلة بين اللفظ المعتدل في حروفه، وبين المعنى الذي يؤدّيه في النفس.

وأكد ابن جنّي (1001) أنَّ قوة اللفظ مفردًا ترتبط بقوة المعنى من حيثُ التكرير والزيادة، وهما طارئان في اللفظ بسبب المعنى، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن، لما فيه من التكرير والزيادة، ومثله: أعشب المكان واعشوشب، "وقوله تعالى: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾، تعد مقتدر أوفق من قادر من حيثُ كان الموضوع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ (Ibn Jenni, 2020).

فالمتأمل بالألفاظ التي أوردها ابن جنّي: "اخشوشن واعشوشب" و"مقتدر" عند ثعلب، يجد أنّ فيها زيادة وتكرارًا للحروف، وتؤدّي هذه الزيادة دلالة تخدم المعنى لا يمكن أن تؤدّيها الألفاظ ذاتها في صورة تكون فيها خاليةً من الزيادة أو التكرار، ويكون المعنى بين الصفتين اللتين يمكن أن يرد بهما اللفظ رهين السياق والموقف الذي يوضع فيه، كما بيّن رأي ثعلب في "مقتدر".

وذهب الخليل (789) إلى أنّ تلاؤم حروف اللفظ يتّصلُ بالمعنى الذي يؤدّيه، فيكونُ به إمّا قريبًا خاليًا من التعقيد، وإمّا معقدًا ساقطًا لبعد الوصول إليه؛ بسبب تنافر حروف ألفاظه، وقد ذهب ابن جنّي إلى أنّ الألفاظ تؤدّي معانيًا لا تؤدّيها في موضعها إذا وردت بصيغ أخرى، حسب الزيادة والتكرير بين حروفها، وهو ما أكّده عبد القاهر الجرجاني حين ربط بين اللفظ والمعنى فقال: "إنّ النقاد حين تكلّموا في مزية كلام على كلام، يقولون إنّ ذلك يكون بجزالة اللفظ، ثم لا تجدهم يفسرون الجزالة بشيء (Al-Jurjani, , 1992)".

وقال: "وهذه الأوصاف في كتب النقاد لا ترجع للفظ من حيث هو لفظ ونطق لسان وصدى حرف، فالوصفُ "بالتمكن والقلق" في اللفظ محال" (Al-Jurjani, , 1992)، وبيّن أنّ المزية لا تكون باللفظ إلا بارتباطه بالمعنى الذي يؤدّيه، وهو موقف امتدّ بين النحاة، ولم يفصلوا بين اللفظ والمعنى كما فعل النقاد الآخرون، خاصّة المعتزلة منهم، وستبين الدراسة موقف النحاة من قضية فصل اللفظ عن المعنى وأثر المعتزلة بذلك.

- **الفصل الأول: فصل اللفظ عن المعنى.**

ذهب المعتزلة إلى أن الفصاحة تقع في اللفظ، وعدّوا الاستعارة والمجاز والإيجاز صفاتٍ تجعل اللفظ فصيحاً، وهي متعلقة بالمعاني، فكان مذهبهم أن الفصاحة في اللفظ ولا تقع في المعاني، وقد تأثر بهم عدد من النقاد، وظهرت مذاهبهم في هذا الباب في متون مؤلفاتهم، كالجاحظ وابن قتيبة وقدامة بن جعفر، وقد تصدّى فريق من النحاة لهذا الفصل بين اللفظ والمعنى، وربط الفصاحة باللفظ دون المعنى مثل: ابن جنّي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما.

فبرز اهتمام ابن قتيبة (986) في اللفظ في مؤلفات عدة، وبيّن الرأي فيه من خلال إبراز معنى اللفظ على الظاهر وعلى سبيل المجاز، وردّ على من ادّعى إنكار صفات الله تعالى في القرآن الكريم، معتمدًا ظاهر اللفظ ومن الالتفات إلى المجاز (Ibn Qutaybah, , 1991)، فقد ظهر لديه أنّ اللفظ يؤدي معنىً ظاهريًّا وآخر مجازيًّا، ولا يمكنُ حمله على الظاهر إجمالًا، ويذهب في الشعر والشعراء إلى تقسيم الشعر من حيثُ اللفظ والمعنى إلى أربعة أقسام، جعلها ضروبًا، مثّل عليها شعرًا مع التعليق على بعضها، وهي:

"ضربٌ حسن لفظه، وجاد معناه،

كقول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصبٍ وَلَيْلٍ أُقاسيهِ بَطيّ الكواكب

لم يبتدئ أحدٌ من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب (Ibn Qutaybah, 2009)"، وتعليقه أنّ الحسن في اللفظ، وجودة المعنى جاءت من غرابته، فيورد صفات اللفظ، وصفات المعنى في الأقسام الأربعة.

"وضربٌ حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتَّشهُ لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل:

وَلَمَّا قَضَيْنا مِن مِنَى كُلَّ حَاجةٍ وَمَسَّحَ بَالأَركان مَنْ هُو مَاسِحُ

وَشُدَّت عَلى حَدَبِ المَهَارِي رِحَالُنا وَلَا يَنْظرُ الغَادي الذي هُو رائِحُ

هذه الألفاظ أحسن شيء مخارج ومقاطع ومطالع، وليس فيها معنى" (Ibn Qutaybah, 2009).

"وضربٌ منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه،

كقول لبيد:

مَا عَاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ وَالمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالحُ

هذا وإن كان جيّد المعنى والسَّبك، فإنّه قليل الماء والرونق (Ibn Qutaybah, 2009)".

"وضربٌ منه تأخَر معناه، وتأخَر لفظهُ، وهو الشعر البيِّن الصنعة، المتكلّف الرديء، كقول الأعشى:

وَقَدْ غدَوتُ إلى الحانوتِ يَتْبَعَني شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شَلْشَلٌ شَوِلُ

فهذه الألفاظ بمعنى واحد أريد بها المبالغةُ" (Ibn Qutaybah, 2009).

وبرزت عنده صفات اللفظ، كالحسن الحلو، والقليل الماء والرونق، والألفاظ الحسنة المخارج، والمقاطع والمطالع، والألفاظ المتأخرة، وصفات المعاني الجيدة والفاسدة، والمعاني الجيدة السّبك، وقد أطلقها على اللفظ والمعنى مع الفصل بينهما، وهذا مخالف لمذهب النحاة، فقد ربطوا بين المعنى واللفظ، وبيّنوا أن اللفظ لا يحسن بذاته، وأنّ المعنى لا يكون جيدًا بمعزل عن اللفظ الذي يبيّنه ويؤديه، وقد وجدتُ تعليقات في هذا الباب للنحاة، كان فيها ردٌّ على هذا الفصل عند ابن قتيبة.

ذهب ابن قتيبة إلى أنّ "قول الشاعر:

وَلَمَّا قَضَيْنا مِن مِنى كُلَّ حاجةٍ وَمسَّحَ بالأركانِ مَن هو مَاسحٌ

وَشُدَّتْ على حَدَبِ المَهَارى رِحَالُنا وَلا يَنظرُ الغادي الذي هو رائحُ

ممّا حسن لفظه وحلا، وإنّه لا يحوي معنى ولا فائدة في معناه، وإنَّ ألفاظه حسنة المطالع والمخارج، وليس فيه معنى" (Ibn Qutaybah, 2009).

وقد ردّ ابن جنّي على من علق على البيتين: قد ترى إلى علوّ هذا اللفظ ومائه، وصفائه وتلاقح أنحائه، ومعناه مع هذا ما تحسّه وتراه، إنّما هو لما فرغنا من الحجِّ ركبنا الطريق راجعين، وتحدثنا على ظهور الإبل، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رقيقتها، مشروفة المعاني خفيفتها (Ibn Jenni, 2020).

وقد ذهب ابن جنّي إلى أنّ الغرض في هذين البيتين خفيٌّ، ولم يُنعم النظر بهما لجفاء طبع الناظر، وخفاء غرض الناطق، ففي البيت الأول تعريضٌ جار مجرى التصريح، "كلّ حاجة" ففيها ما يفيد أهل النسيب والرقة، وذووا الأهواء والمقة، ما لا يفيده غيرهم.

وفي البيت الثاني "أطراف الحديث" تدلّ على الإيماء والتلويح دون التصريح وهو أغزل من المشافهة، وفيه من الفصاحة ما لا خفاء به (Ibn Jenni, 2020)، فالمعنى عنده خفيٌّ غير ظاهر، ولا عجب في ذلك؛ لأنّ الفصاحة عند ابن جنّي تكمن في التلويح دونَ التصريح، وقد ردَّ في هذا المعرض على ابن قتيبة من جانبين: الأول أنّ المعانيَ في هذين البيتين خفيّة ليست ظاهرة، وتحتاج لطبعٍ غير جفيّ للوصول إليها، والجانِبُ الآخر فيما ذهب إليه ابن قتيبة في تفوق اللفظ وحسنه في البيتين السابقين، فقال ابن جنّي: "إنّما العرب تحلي ألفاظها وتدبّجها، وتزخرفها؛ عنايةً بالمعاني التي وراءها، وتوصّلًا بها إلى إدراك مطالبها (Ibn Jenni, 2020)"، فهو لم يقبل الفصل بين اللفظ والمعنى قطعًا، وأنّ العلاقة التي تربطهما هي العلاقة الدلالية الجمالية، فلا يمكن للفظ أن يفضل المعنى، فالمعاني ليست ظاهرة وتحتاج غوصًا وإدراكًا للوصول إليها، وإنَّ والألفاظ وإن كانت موشّاة ومزخرفة وحلوة، إنّما هي لخدمة المعاني.

وقد توافق مع ابن جنّي في أنّ المعاني تقع في الكلام كالإيماء، ولا يحكم على جودة المعاني الخفيفة من الظاهر في الألفاظ، والألفاظ تؤدّي وظيفة رهينة بالمعاني، فقد ذهب ابن قتيبة إلى أنّ من الشعر ضرباً جاد معناه، وقصرت ألفاظهُ عنه، كقول الفرزدق (Ibn Qutaybah, 2009):

وَالشَّيْبُ يَنْهضُ في السّواد كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصيحُ بجانِبَيهِ نَهَارُ

وقد عدّه من عيوب اللفظ واتّساع المعنى عليه، وخالفه بذلك المبرّد (899)، وقد تحدّث عنه في باب: "ما جاء في الكلام كالإيماء"، وقد علق على بيت الفرزدق بأنه: "أوضح معنى، وأعرب لفظ، وأقرب مأخذ (Al-Mubarred, 1997)"، وهو "الملخّص" نقيض "المعقد" عند عبد

القاهر، وهو المعنى الذي تصل إليه دون عناد، وتسلكه سلوك المبيّن لوجهته بالفكر والرّوية والاستنباط والقياس.

ولم يكن مذهب ابن قتيبة في الفصل بين اللفظ والمعنى قطعيًّا، بل ربط بينهما في كتابه تأويل مشكل القرآن، وردَّ فيه على المعتزلة الذين حكّموا العقل في تفسيرهم المعاني، وانحازوا للمعاني العقلية، فقد بيّن العلاقة بين اللفظ والمعنى في أبواب مختلفة من كتابه، كانت الغاية منها الكشف عن معاني القرآن الكريم خلافًا لظاهر الكلام، مثل: مخالفة ظاهر الكلام معناه، كالدعاء الذي لا يراد به الوقوع، كقوله: (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ)، و(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)، و(قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)، فهذه من باب الدعاء الذي لا يراد به الوقوع على سبيل الذم (Ibn Qutaybah, 1991)، فالمعنى الظاهر منها الدعاء، في بنية الجملة ومطابقتها بنية الدعاء في معاني النحو، والمعنى الخفيّ المراد هو الذم والتحقير.

وقد اجتهد النحاة في بيان معاني القرآن، وكان هذا الاجتهاد بمثابة الرد على الانتصار للعقل، واعتماد ظاهر الكلام من قبل علماء المعتزلة، فألّف الكسائي (799) كتاب معاني القرآن، وألف الفرّاء (822) معاني القرآن، حيثُ توسّع بالتخريج النحوي للنص، وبيان أوجه التفسير على القراءات، وعنى بالشرح اللغوي، والتنبيه إلى الظاهر، ومن ذلك ما قاله في حذف الألف في "بسم الله الرحمن الرحيم" في أنّها حذفت؛ لوقوعها في مكان معروف للقارئ، ولا يحتاج إلى قراءته، فاستخفّ حذفها وطرحها؛ لأنّ من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عُرف معناهُ (Al-Farraa, 822). وقد برزت لديه مصطلحات نقدية عديدة خالف بها بعض البلاغيين، وكانت لديه بعض المصطلحات الخاصّة التي اشتركت في الدلالة مع غيره، وقد وردت عند ابن قتيبة أيضًا مصطلحات: (الاستعارة، والتمثيل، والقلب)، و(التقديم والتأخير)، و(الحذف والتكرار)، و(الإخفاء والإظهار)، و(التعويض والإفصاح والكناية)؛ إذ كان منهجه بيان أسلوب القرآن، وجرْيِهِ على مجرى العرب في كلامها ومعناها. (Ibn Qutaybah, 1991).

وبيّن أبو عبيدة (824) في "مجاز القرآن"، الغريب وتوضيح نهجه، ومجاز القرآن في التعبير، ووجوه نظمه التي يوجد مثلها في كلام العرب: (كالزيادة والحذف، والتقديم والتأخير)، وكذلك فعل الأخفش الأوسط (830) في كتابه معاني القرآن (Al-Akhfash,, 1990)، والزّجّاج (923) في معاني القرآن وإعرابه (Al-Zajjaj 923,1988.)، والنّحّاس (949) في معاني القرآن، حيث عمد إلى تفسير القرآن ومعانيه وغريبه وأحكامه، والناسخ والمنسوخ وإيراد آراء العلماء بذلك (Al-Nahhas., 1987)، فجاءت المؤلفات لبيان أنّ للعرب اهتمامًا بالمعاني، وردّا على من اتّهمهم باهتمامهم بالألفاظ، وإهمال المعاني من جهة، ومن جهةٍ أخرى لبيان معاني القرآن خلافًا للظاهر، وخلافًا للمعاني العقلية التي اعتمدها المعتزلة؛ إذ لم يميّزوا بين أنواع المعاني، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في الردّ على من ادّعى المعاني العقلية، واعتمده في بيان معاني القرآن.

- **الفصل الثاني: الألفاظ والمعاني بين الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني.**

برزت عند الجاحظ (868) قضيّتان لافتتان تتعلقان باللفظ والمعنى في عبارة اشتهرت، وأخذت صداها قديمًا وحديثًا في المؤلفات النقدية، حيث قال في الشعر وبيان مزيته: (والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والقرويّ والبدويّ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السَّبك) (Al-Jahiz, Al-Hayawan,, 2000). فقد فصل بهذا الرأي بين اللفظ والمعنى من جهة، وسوَّى بين المعاني من جهةٍ أخرى، وجعلها جميعًا متساويةً بين العجم والعرب، وبين أبناء القرى وأبناء البادية، فالمتأمل في آراء النحاة من هذه الزاوية، يجد أنّ الجاحظ قَصَّر عنهم في طرحه الذي طرحه، وقد تصدّى له عبد القاهر الجرجاني، وبيّن أن المزية لا تكمن في اللفظ إلاّ من خلال المعاني.

فقد أسقطَ الجاحظ أمر المعاني، ولم يقم لها فضلًا، وقد علّق عبد القاهر على كلامه في معرض ردّه عليه، بأنّه أسقط أمر المعاني، "فأعلمكَ أنّ فضل الشعر بلفظه لا بمعناه" (Al-Jurjani A. a.-Q., 1992).

وردّ عبد القاهر الجرجاني بأنّ اللفظ لا يكون متمكنًا، ولا يكون جيّدًا بمفرده، فالوصف "بالتمكّن والقلق" في اللفظ محال؛ لأنّ الألفاظ مجموعة حروف متغيّرة لا تثبت في مكان، وكذلك "السّبك والطابع"، فلا يمكن أن يكون المراد به اللفظ بذاته (Al-Jurjani A. a.-Q., 1992): إذ إنّ الألفاظ مرتبطةٌ بالمعاني وتحسن وتعود بما تحويه من معاني وبمدى مناسبتها إياها، وقد جعل البلاغةَ في انتظام اللفظ وهي صفات اللفظ الجيد؛ "إذ لا يكونُ الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناهُ لفظه، ولفظُهُ معناهُ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك" (Al-Jurjani, 1992).

وقد ردّ على مَن نعت اللفظ بالتمكّن "لفظٌ متمكّنٌ وغير قلق ولا نابٍ به موضعه، وأنّه جيد السّبك، صحيح الطابع، بأنّه من مذهب المعتزلة، حيث وصفوا اللفظ بالفصاحة حين رأوا الكتب المصنّفةَ قد وضعت من قبل النحاة، قد وصفت المفردة بالفصاحة، فرأوا أنّ ثعلبًا قد سمَّى كتابه "الفصيح" للدفاع عن مذهبهم في أنّ الفصاحةَ باللفظ ولا تقع في المعنى (Al-Jurjani, 1992)، فبيّن الجرجاني أنّ فصاحة اللفظ رهينة بصفات متعلقة بالمعاني، فالاستعارة عنوانُ ما يجعل اللفظ به فصيحًا، والمجازُ جملة اللفظ، والإيجاز في المعنى يوجب الفصاحة للفظ.

وأمّا المعاني، فقد جاء ردّ الجرجاني على الجاحظ ومَن ذهب مذهبه في وجوه عدّة، فصّل فيها القول وبيّنها، فمن ناحيةِ المعاني المشتركةُ المطروحة، يرى الجرجاني أنّ المفاضلة بين معنى ومعنى، أو بيت وبيت، إنّما هي كالمفاضلة بين خاتم وخاتم، فلا تنظر في الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل، وتلك الصنعة، فالمعنى من الكلام كالخاتم من الذهب في جودة العمل ورداءته (Al-Jurjani, 1992).

- **الفصل الثالث: أقسام المعاني عند الجرجاني.**

قسم الجرجاني المعاني إلى قسمين: عقلي وتخييلي، وجعل لكلّ قسم منها أنواعًا، ولكلّ نوع منها صفات، فمن أنواع المعاني العقلية: العقلي الصحيح، ويكون في الكتابة والبيان، والشعر والخطابة، وفي كلام الصحابة، وآثار السلف، والأمثال والحكم المأثورة (Al-Jurjani, 1992).

وتمتاز بأنَّها تورد حقائق لا يمكن إنكارُها (Al-Jurjani, 1992)، وبهذا يكون الحكم عليها من حيث قبولها أو رفضها "بالصدق"، ولا مجال في تعديلها أو الزيادة عليها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(Alhujurat, 13) ، وكقول الشاعر:

النَّاسُ في صُورةِ التَّشبيهِ أَكْفَاءُ أَبُوهُم آدمُ وَالأُمُّ حَوَّاءُ

فهذه معانٍ عقلية ثابتة في العقل بشكل صحيح، لا يمكن تغيير حقيقتها، وهي ثابتةٌ في الشّعر إلّا من أسلوب الشاعر، وسبيل تعبيره عنها.

ارتبطَ المعنى التخييلي –وهو القسم الثاني من أقسام المعاني لديهِ من حيث الصدق والكذب– بالتخييل، والتخييل هو الكذب، فما يميّز هذا القسم لديه أنّه لا يمكن أن يقال إنّه صدق، وهو كثير وطبقات، ويأتي على درجات، ويقوم على قوة التخييل، ويغلف برونق الصدق والتصنع والتعمُّل حتى يكاد أن يكون صدقًا (Al-Jurjani, 1992).

والتخييل هو "ما يُثبت به الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلًا، ويدّعي دعوى لا سبيل لتحصيلها، ويقول قولًا يخدع فيه نفسه، ويريها ما لا ترى" (Al-Jurjani, 1992)، فقد يقوم على تغيير الثابت، أو إثبات شيء غير موجود بعينه في خياله، وقد بيّن الجرجاني أيضًا أنّ التخييل قد يقوم بتزييف ارتباط المعنى، كأن يكون المعنى مرتبطًا بعلّة مشهورة، فيمنعها الشاعر، ويضع له علّة أخرى، كقول المتنبّي (Al-Jurjani, 1992):

ما بِهِ قَتْلُ أعاديهِ ولَكنْ يتَّقي إخلافَ ما تَرْجو الذِّئابُ

فالمشهور بهذا المعنى قتل الأعادي، وقد منعها المتنبي وجعلها تقع لعلّة إطعام الذئاب من جثث الأعداء، وهي علّة ثانوية أدّت إلى وقوع التخييل.

ويظهر من هذا التقسيم أنَّ الجرجاني استطاع الرد على الجاحظ في نظرية المعاني المطروحة، فالظاهر ممّا ذهب إليه الجاحظُ أنّ المعاني المطروحةَ، (التي يشترك فيها العام والخاص)، هي المعاني العامّة التي وضعها عبد القاهر الجرجاني، وبيّن صفاتها التي من أهمّها ألّا تقعَ فيها السرقة والأخذ، فالغرض العام يحوي معاني لا يمكن أن تكون حكرًا على شاعر دون غيره، وإن تقدّم فيها شاعر على آخر في الزمن، كتشبيه الرجل بالأسد، أو تشبيه الرجل بالبحر، فهي من المشترك العامي الذي لا يقع التفاضل فيه (Al-Jurjani, 1992).

وقد تخرج المعاني من دائرة العمومية لتصبح معاني خاصة؛ إذا استطاع الشاعر أن يقدّمها بنظم جيد ولفظ منتظم، فيعمِّق من دلالتها حتى يصبح معناه خاصًا، كقول الشاعر (Al-Jurjani, 1992):

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحِي إِذَا نَظَرَتْ إِلى نداك فَقَاسَتْهُ بِما فيها

فقد يصبح المعنى خاصًّا لما أفضاه الشاعر عليه من نظم ولفظ، فالمشترك هو تشبيه الرجل بالسحاب للكرم، وأضفى عليه الشاعر أسلوبه الذي جعله يفوق متعلقات الكرم العامة، ويصل به لدرجة عالية من الكرم.

وأمّا المعاني الخاصّة، فهي عند الجرجاني مكان السبق والأولوية، والاختصاص والتقدّم، وهي التي لا تأتي إلا بالحفر وتعريق الجبين، وهي معانٍ كامنة كالنار في الزند، وكالمكان الشاهق أو كالدرّ في قعر البحر، لا بُدّ من تكلف الغوص عليه، وفيها تقع الاستعانة والاستمداد والأخذ والسرقة (Al-Jurjani, 1992)، فالجرجاني يرى أنَّ هذه المعاني هي ما يختصّ به شاعر دون آخر، وهذا الجزء من المعاني لا يمكن أنْ يكون من المشترك المطروح الذي ذهب إليه الجاحظ حين سوّى بين المعاني، كما قال امرؤ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدي وَالطَّيْرُ في وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

فهو من المعاني التي تحتاج جهدًا حتى تظهر، وقد شبَّهها بالجوهر في صدفها (Al-Jurjani, 1992).

وقد فسّر المعاني الخاصة البعيدة المبتكرة كالبيت السابق، وهي التي سبق إليها الشاعر وارتبطت به على مرّ العصور، وقد أسماها بعض النقاد "المعاني العُقم" وهي الأبكار المبتَدَعَة (Al-Hatimi, 1979)، وهي أوابد الشعر والمعاني البعيدة الصعبة، كقول امرئ القيس السابق، فهو من المعاني البعيدة التي لم يسبقه إليها أحد (Ibn al-Anbari,, 939)، وقد برزت في هذا الجانب: (المعاني الثواني، ومعنى المعنى) عن الجرجاني، وتحصل في الكناية والاستعارة والتمثيل" نحو قولك: نؤوم الضحى، طويل النجاد، كثير رماد القدر، فالمعاني الظاهرة من الألفاظ تقودُك إلى معانٍ أُخرَ ثوانٍ تصل بها إلى الغرض.

وأما "التعقيد والتعمية والغموض" فهي مصطلحات وردت عند عبد القاهر الجرجاني وغيره من النقاد، والنحاة على وجه الخصوص، وهي عيبٌ من عيوب المعاني لديه، خاصّة فيما جاء معقّدًا معمّىً غامضًا منها؛ لأنّه يحتاج إلى فكر وتعب، ومخالفًا لما عليه الناس، فالناس قالوا: "خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك

(Al-Jurjani, 1992)، وكان التعقيد معيبًا مذمومًا لديه؛ إذ وقع التعقيد بترتيب الألفاظ، كقوله:

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ العُيونِ جُفُونُها مِن أَنَّها عَمَلُ السُّيُّوفِ عَوامِلُ

فالتعقيد من عيوب المعنى بسبب سوء ترتيب اللفظ ونظمه، والمعقد من الشعر والكلام يُذمّ صاحبه لدى الجرجاني؛ لأنَّه يوعِّر طريقك للمعنى ويُتعبُ الفكر أو يَشعِّبُ الظنّ، حتى لا تعرف كيف تطلبه أو تصل إليه (Al-Jurjani, 1992)، وقد أشرت سابقًا إلى أنَّه عكس "الملخّص" من المعاني، وقد بيّنه الجرجاني بأنَّه الذي تصل إليه دون عناء وكدّ، وتسلكه سلوك المبيّن لوجهته بالفكر والرّوية، والاستنباط والقياس.

- **المبحث الثاني: علاقة اللفظ بالمعنى من حيث الدلالة.**

ربط ابن جني علاقة اللفظ بالمعنى من حيث الدلالة التي يقدمها والمعنى الذي يورده، وهي علاقة لا يمكن الفصل بين أطرافِها، كما فعل ابن قتيبة والجاحظ، فقد دافع عن عناية العرب بالمعاني زيادة على عنايتها بالألفاظ، فإنَّ المعاني لديها أقوى وأكرم، وأفخمَ قدرًا في نفوسها (Ibn Jenni, 2020).

وقد بيّن أنَّ عناية العرب بألفاظها إنَّما هي أولى مراتب العناية بالمعاني، فالعناية بالألفاظ لديه عناية بالمعاني، وهي كالعناية بالوعاء وتحصينه والمراد بذلك الاحتياط للموعى عليه (Ibn Jenni, 2020).

وقد ذهب الآمدي (980) إلى الربط بين اللفظ والمعنى، وجعل اللفظ أداة الوصول للمعنى، والعلاقة بينهما كالتطريز على الثوب، وكالعبير على خدّ الجارية، فاللفظ إذا كان رديئًا سيئًا، يفسد دقة المعنى، "فيكون كالتطريز على الثوب الخرِب، أو كالعبير على خدّ الجارية القبيحة لا فائدةَ منه ولا جمال فيه" (Al-Aamedi, 1994).

فاللفظ عند الآمدي (980) أداة يصوغها الشاعر ليشكّل منها الغرض الذي يريده، وعلاقته به علاقة وصل، "وهو كالخشب عند النَّجار، والفضة عند الصائغ" (Al-Aamedi, 1994)، وقد تعدّدت صفات اللفظ والمعنى لديه، وبيَّن محاسنها وعيوبها عند الشعراء، وقد تعددت مصطلحات نعت كل منهما، فنجد لديه (جودة اللفظ، واللفظ الرديء، وتعسُّف اللفظ، وحلو المعنى، ورداءة المعنى، وشرف المعنى، ومعنى سخيف عامي بارد، واستقامة اللفظ، وفساد اللفظ والمعنى)، ويقود هذا الاصطلاح الأخير إلى مذهب المبرِّد (898) في تعامله مع علاقة اللفظ بالمعنى، فقد ارتبط المعنى لديه "بالفاسد والمحال" من حيث تركيب الجمل النحوية، وتوخّي معاني النحو، وبيَّن الفساد في التركيب والاستحالة في المعاني (Al-Mubarred, 1985).

وقد وافق الجرجاني (1078) رأي الآمدي (980) في أنّ الفصاحة للمعاني، وهي التي تقوّي اللفظ، في معرض ردّه على المعتزلة، حيث ربط الآمدي فصاحة اللفظ بالمعنى، وبأنَّ المعاني تفضل الألفاظ، وبأنَّ الشاعر يتقدّم على غيره بمعانيه لا بألفاظه، "فامرؤ القيس لم يتقدَّم على الشعراء بالألفاظ؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحته، ولا لألفاظهِ من الجزالة ما ليس لألفاظهم، ألم تَرَ أنّ العلماء بالشعر إنّما أخذوا في تقديمه بأن قالوا: هو أوّل من شبّه الخيل بالصخر وذكر الوحش والطير، فهل هذا التقديم له إلا لأصل معانيه؟" (Al-Aamedi, 980).

فقد برزت مزية المعنى عند كل من (ابن جنّي، والآمدي)، فالمعاني أوسع من أن تطرح وتكون مشتركةً كما قال الجاحظُ، وقد فسّرها الجرجاني من حيثُ التوارد والشيوع، فجعلها معاني عامّة وخاصّة، ولها من الصفات ما تختلف فيها عن غيرها، وهي من المعاني التخييلية التي يمكن أن تقاس بمستوى التخييل، ويقع فيها الكذب، وللشاعر حرّية النظم ليفضل غيره بها، وبهذه المعاني تقع السرقات وأنواعها، وقد وردت عند الجرجاني بعض مصطلحاتها: "كالاستعانة، والأخذ، والسرقة، والاستمداد"، وقد وردت عند النقاد النحاة وغيرهم، فقد أورد الحاتمي (998) بعضًا منها "كالسرقة وإخفاء السّرق من حذاق السّراق، والاحتذاء، وتورية الاتِّباع، والاقتفاء، والتعسّف وهو الأخذ من غير قصد (Al-Hatimi, 1979)، وغيرها.

وأمَّا المعاني العقلية، فهي التي لا يمكن أن تكون بها السرقة، وهي معانٍ ثابتةٌ لا مجالَ لتغييرها، ولا للشاعر أنْ يبدع فيها ويبتكرَ، وليس له فيها إلا النَّظم وطريقة التركيب.

- **الفصل الأول: صفاتُ اللفظ عند ثعلب.**

وقد ذهب ثعلب (903) إلى أنّ اللفظ يكون جزلًا إذا توافرت فيه بعض الشروط: "فَما لم يكنْ بالمُغرِب المُستغلِق البَدويّ، ولا السَّفساف العاميّ، ولكنْ ما اشتدَّ أسره، وسهل لفظهُ، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامُهُ، وتوهم إمكانه" (Tha'lab, 1995). فالجزالةُ لديه تشمل الرقة والفخامة، فيكون اللفظ مرتفعًا عن السوقي العامي، وحين نتأمل شدّة الأسر المرادة، نجدها في مناسبة الغرض الذي وضع له اللفظ، وفي قوله: سَهُلَ لفظه، فهو يريد التلاؤم بين الحروف الذي بيّنه الخليل، وتأثَّر به الرّماني (994) في تلاؤم حروف اللفظ وتنافرها وأثرها في المعنى، ونلحظ في شروط اللفظ التي وضعها ثعلب (903)، أنَّ قضيّة الطبع والتكلف ترتبط به بشكل وثيق، وقد وردت عند القاضي الجرجاني (976) فيما بعد ما يقارب مئة عام، أنَّ اللفظ الجزل فيما يرى ثعلب هو ذاته الذي يريد القاضي الجرجاني، وقد وضّح الصفات التي يجب أن تتوفّر في اللفظ "فلا تظنّ أنّي أريد بالسَّمح السَّهلِ الضعيفَ الرَّكيك، ولا باللطيف الرشيق الخَنِث المؤنَّث، بل أريد النمط الأوسط، ما ارتفع عن الساقط السّوقي، وانحطَّ عن البدويّ الوحشي " (Al-Qadi Al-Jurjani, 976)، فلم يبالغ ثعلب في نصرة أيّ من اللفظ أو المعنى على حساب الآخر، بل بيَّن صفات اللفظ التي تناسب المعاني من حيثُ القرب والتلاؤم والسهولة، كما بيّن هذه الصفات

القاضي الجرجاني، وهي من المصطلحات التي اتَّفق فيها النحاة مع غيرهم من النقاد.

- **المبحث الثالث: اللفظ والمعنى من حيثُ الزيادة والنقص.**

التفت النحاة لزيادة اللفظ على معناه أو قصوره عنه، وإلى موافقته إيَّاه ومشاكلته له، وإلى اتّساع المعنى على لفظه، وفي هذه الحالات الأربع كانت لهم مصطلحات كشفت علاقة اللفظ بالمعنى من حيثُ المساواة والمشاكلة من جهة، ومن حيث الإطالة والتطويل من جهةٍ أخرى، أو من حيث القصور والحشو، فالشاعر يلجأ في حالات لأنْ يصنع اللفظ لسدّ ثغرات الوزن وإقامته، إمَّا بزيادة لفظ، وسُمِّي لدى النحاة "الحشو" الذي لا يفيد المعنى، أو لحذف بعض أحرف اللفظ وهذا "التثليم"، أو الزيادة فيه وهو "التتميم".

وستقف الدراسة عند هذه المصطلحات لتبيَّن مدى عناية النحاة بهذا الجانب من علاقة اللفظ بالمعنى، وأثره في خدمة الدلالة والغرض عند النحاة.

عُرف اللفظ "بأنَّه ما كان من الحروف دالّاً بتأليفه على معنى" (Al-Rummani, 1991)، وهذا رهينٌ بالمعنى الذي يدلّ عليه، ومرتبطٌ بصحّته وقوّته ارتباطًا بلاغيًا، يؤثر بمستوى بلاغة المعنى وقوَّته، ولهذا ذهب المبرّد (898) إلى أنْ جعل البلاغة "إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم" (Al-Mubarred, 1985)، فالأصل هو الإحاطة، ولكنْ قد يتّسع المعنى على اللفظ، فيحتاج الشاعر إلى أنْ يُطيل حتى يوصله وهو البعد عن البلاغة، وقد يزيد اللفظ على المعنى، ويكون بمثابة الحشو الذي لا فائدةَ منه، وقد تنبّه النَّحاة لهذا التبايُن والتقارب بين اللفظ والمعنى، فذهب "الخليل وسيبويه (796)" إلى أنَّ الحشو هو "الصلة"[r] (Al-Marzubani, 1995)، "كقوله (Sibawayh, 1988):

فَكَفَى بِنا فَضْلًا على مَن غَيْرِنَا حُبُّ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ إيَّانَا

قال سيبويه: مثله حشو، لا يتمّ الكلام إلَّا بحشوه" (Al-Sirafi, 1974). يكمنُ التمام الذي أراده سيبويه في الوزن وإقامته، فالكلامُ من حيثُ المعنى لا يتأثر إذا حذفنا الصلةَ "مَن" من صدر البيت، فيكون: فكفى بنا فضلًا على غيرنا، ولكن الوزن ينكسرُ، فجاءت الصلةُ هنا حشوًا لإتمام الوزن.

وقد ذهب ابن رشيق (1070) إلى أنَّه "الاتّكاء" وهو زيادة لفظ لا يفيد المعنى لإتمام الوزن، فإذا كان في القافية يسمى "استدعاء"، وإذا أفاد المعنى فهو "التتميم"[r] (Al-Qayrawani, 1981)، فالاتّكاء الذي أراده ابن رشيق يكون في البيت ما دون القافية، وهو الحشو عند سيبويه والخليل، وأمَّا الاستدعاء والتتميم، فقد اختلفت دلالتهما من حيثُ الفائدة التي يقدّمها اللفظ للمعنى إذا كان في القافية، فالاستدعاء زيادةٌ دونَ فائدة، والتتميم زيادة لخدمة المعنى في القافية.

وبيّن ثعلب (903) أنَّ "الأبيات المحجّلة" هي التي يتمُّ معناها بالقافية، فيكون "التتميم" الذي تحدَّث عنه ثعلب، ولم يسمِّه باسمه، فالأبياتُ المحجلَّة "ما نتج من قافية البيت عن عروضه، وأبان عجزه بغية قائله" (Tha'lab, 1995).

كقول لبيد (Tha'lab, 1995):

وَلَمْ تُنْسِني أَفضى المُصيباتِ بُعْدَهُ وَلكنَّ نَكءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

فالقافية جاءت كتحجيل الخيل، والنور يعقب الليل.

ويمكن القول: إنّ "التتميم" عند ابن رشيق و"التحجيل" عند ثعلب هما الإيغال عند الأصمعي. "والإيغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى من البيت قبل انتهائه للقافية، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها، فتزيد البيت نصاعةً، والمعنى بلغًا إلى الغاية، كقول امرئ القيس (Al-Hatimi, 1979):

كَأَنَّ عيُونَ الوَحشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وأَرْحُلِنا، الجَزْعُ الذي لَمْ يثقَّبِ "

وجاء في الصناعتين أنَّ الأصمعي أراد بالإيغال "التأكيد والزيادة"، التي يفيد بها لفظ القافية للمعنى الذي تمّ سابقًا، دون الحاجة إليها، "كقول ذي الرمة (Al-Askari, 1991):

قِفِ العِيسَ في أطلالِ ميّةَ واسْأل رُسُوماً كَأَخْلاقِ الرِّدَاءِ المُسَلْسَلِ

فانتهى كلامه قبل القافية، وتمَّ معناه، وجاء بها لاحتياج الشعر إليها" "المراد به الوزن"، ولكنَّه أفاد بها معنى للتأكيد والزيادة.

وقد ذهب بعض النقاد إلى أنّ الحشو من عيوب اللفظ بائتلافه مع الوزن، وهو أن يكون اللفظ زائدًا لا يُحتاج إليه إلا لإتمام الوزن (Al-Marzubani, 1995)، وقد ربط الحاتمي اللفظ مع الوزن، فعدّ الزيادة في الألفاظ من أجل الوزن حشوًا لا فائدةَ منه، وقد يلجأ إليه الشاعر مضطرًا، فيزيد في بنية الأسماء حروفًا، كعبد المليك بدلاً من عبد الملك فيسمى هذا "التذنيب" (Al-Marzubani,, 1995)؛ لعدم مناسبتها الوزن، فيضطر الشاعر إلى الزيادة فيها وتذنيبها، "كقول الشاعر (Al-Marzubani, 1995):

لا كَعَبْدِ المليكِ أو كَيزيدَ أو سُلَيْمَانَ بَعْدُ أو هِشَام"

وأمَّا "التثليم"، فهو عكس "التَّذنيب"، وهو الإتيان بأسماء أطول من الوزن، فيضطرُّ الشاعر إلى ثلمها؛ لتناسبه.

وقد ورد عند النحاة مصطلح الإطالة والتطويل والطول، وهو قصور اللفظ عن المعنى، فلا يستطيع الشاعر أن يجعل لفظه محيطًا بمعناه، وعدم إحاطة اللفظ للمعنى، معيب عند ابن جنّي (Ibn Jenni, 2020)، ومقبول في بعض الأغراض عند الخليل، وعيبٌ عند المبرّد، ففي قول ابن جنّي: "واعلمْ إنّ العرب إلى الإيجاز أميَل، وعن الإكثار أبعد؛ لأنَّ التطويل يؤدي لاستكراه الحال والملل" (Ibn Jenni, 2020). ميلٌ للاختصار والفهم والابتعاد عن الإطالة منعًا للملل، وهو مذهب العرب في كلامهم، ولم يقصر ابن جنّي ذلك على الشعر، بل جعله مفتوحًا عامًّا.

وكان مذهب الخليل بن أحمد من قبل مخالفًا لابن جنّي؛ إذ ذهب لقبول الإطالة في أغراض تستوجب الموقف، والغرض ليناسبه الاختصار، فقال: "يطول الكلام ويكثر ليُفهم، ويقصر ليُحفظ وتُستحب الإطالة عند الإعذار والإنذار، والترغيب والترهيب، والإصلاح بين القبائل، كما فعل زهير والحارث بن حِلِّزة، ومن شاكلهما" (Ibn Rasheeq, 1981).

فقد أباح الإطالة وجعلها مستحبةً لمناسبة أغراض تستوجبها من خلال الألفاظ، التي من شأنها التأكيد على المعنى، فالإعذار والإنذار لا يكونان في بيت شعري واحد، ولا يمكن أن يكون الإصلاح بين القبائل في مقطوعة شعرية أو لوحة قصيرة.

وأمّا الإطالة عند المبرّد، فقد أسماها "التطويل" وهو الإتيان بالمعنى الحسن الجميل بألفاظ طويلة، وهو معيب، نحو "قول عنترة:

فَإذا شَرِبْتُ فَإنَّني مُسْتَهلكٌ مَالي، وَعِرْضي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ
وَإذا صَحَوْتُ فَمَا أُقصِّرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائلي وَتَكَرُّمي

فهو حسن جميل، إلَّا أنَّه أتى به ببيتين" (Al-Mubarred, 1997).

فعاب على عنترة التطويل في اللفظ، وإنْ كان معناه حسنًا جميلًا، فلم يستطع أن يجعله في بيت واحد، كما فعل امرؤ القيس "بقوله:

سَمَاحةَ ذا وَبَرَّ ذا وَوَفاءَ ذا وَنائلَ ذا، إذا صَحَا وإذا سَكِرْ

فالمعنى يكثر في بيت واحد" (Al-Mubarred, 1997)، وهذا عكسُ "التطويل" وهو الاختصار وإحاطة اللفظ بالمعنى، فالشاعران يتحدثان عن صفات كريمة، وشمائل محمودة: كالسماحة، والبرّ، والوفاء، والكرم، والندى في حاليْ الصّحو والسُّكرُ.

وأمّا "التضمين" فهو من موقف الاضطرار الذي يلجأ فيه الشاعر للإطالة من خلال إتمام المعنى ببيتٍ لاحق، فيرى أحمد بن محمد العروضي أنّ: "التضمين أنْ يُبنى الكلام ويكون معناهُ في بيت يتلوه من بعده مقتضيًا له" (Al-Marzubani, 1965)، ففي قوله "مقتضيًا له" يبيّن أنّه موقف اضطرار، وهو مختلف عن التطويل الذي أورده المبرّد عند عنترة، فعنترة لم يكن مضطرًا لأن يجعل معناهُ في بيتين.

ذهب ابن جنّي إلى أنَّ العرب تلجأ للتطويل اضطرارًا، وهو مستكره عندهم، فقد كانت توجز، وإنّما تطيل لتبلغ، "وهم أمْيَلُ للإيجاز، ويطيلون للضرورة" (Ibn Jenni, 2020).

وقد عدَّ عبد القاهر الجرجاني "التضمين" عيبًا وهو من عيوب القافية ولم يسمّه باسمه، ولكن تنبَّه إلى العيب الذي يلجأ إليه الشاعرُ في القافية لاستقامة الوزن، فيحتاجُ إلى توضيحه في بيت لاحق له ليوضعه، ففي قول الشاعر (Al-Jurjani, 1992):

فَمَا رَقَدَ الوِلْدانُ حَتى رَأَيتُهُ على البِكْرِ يَمْريهِ بساقٍ وَحَافرِ
فَقُلتُ لهُ أَهْلاً وسَهْلاً ومرحباً بِهَذا المُحيَّا من مُحييٍّ وزائرِ

فالاقتضاء الذي ذهب إليه أبو محمد العروضي جاء في القافية "حافرِ" في البيت الأول، لجأ إليها الشاعر فجعل الحافر بموضع القدم من الإنسان، في حين عدّه أبو هلال العسكري من "المعاظلة" (Al-Askari, 1991) وهو سوء النظم، ومنه سوء الاستعارة، فدعت الحاجة لتوضيحه في البيت الذي يليه، وهو رأي عبد القاهر الجرجاني.

- **المبحث الرابع: اللفظ والمعنى من حيثُ التعريض والتصريح.**

برزت في كلام العرب أساليب تعبير لم تكن بمستوى التصريح للمعنى المراد، من خلال اللجوء لأساليب تجعل المعنى خفيًّا على ظاهر الكلام، وتعدّدت تلك الأساليب وتنوَّعت، وقد تناولها النحاة مبيّنين لها، ومفسرين ما تخلّف المعنى فيها عن بعضها، وكاشفين المستوى البلاغي فيها.

وقد ظهرت مصطلحات عدّة، ترتبط بدلالة الألفاظ على معانيها من وجه المجاز، أبرزها الإشارة وأنواعها: (كاللحن، والرمز، والكناية والتعريض، والاتّساع، والتلويح دون التصريح، والإيماء)، الذي يعادل الإفراط في الإغراق عند بعضهم، وجميعها تصبُّ في دلالة الإيجاز والاختصار، والبعد عن الإطالة، وهذه البلاغة كما عرَّفها بعضهم.

استقرّت البلاغة في مفهومها على أنّها الاختصار، وتقريب المعنى بألفاظ قصار، "وقد سُئل بعضهم: ما البلاغة؟ فقال: هي لمحة دالّة" (Al-Tha'alebi, 1995)، وهذا أسلوب العرب؛ "فإنهم يشيرون إلى المعاني بأوحى إشارة، ويستحبون أن تكون الألفاظ أقلّ من المعاني في المقدار والكثرة" (Al-Tha'alebi, 1995)، وهذا مذهب النقاد من قبل، وقد تناولوا هذا الاختصار بشيء من التفصيل في كلام العرب، وفي القرآن الكريم، وقد اختلفت دلالتها بين النقاد والنحاة، فمنهم من أخذها تجاه الغموض المفرط الذي يحتاج تأويله إلى إعمال العقل لفهم المراد من الكلام، ومنهم من عدَّها من الإيجاز والبلاغة والاختصار.

وقد ذهب ابن قتيبة (889) إلى أنَّ "التعريض" بلوغ الإرادة من الكلام بوجه أحسن وألطف من الكشف والتصريح، وهو عدم المكاشفة (Ibn Qutaybah, 1991)، فقد عدّهُ نوعًا خاصًّا للاختصار، في حين نجده عند ابن رشيق من أنواع "الإشارة" وهي لديه: "من غرائب الشعر وملَحه، وهي بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى، وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلّا الشاعر المبرِّز، وهي لمحة دالة، واختصار وتلويح يُعرف مجملًا، ومضاد بعيد من ظاهر لفظه". (Al-Qayrawani, 1981)

ولفهم المراد من الإشارة عند ابن رشيق (1070)، فقد طرح عدّة شواهد تبيّن المراد منها، ففي قول إبراهيم الموصلي (Al-Qayrawani, 1981):

جَعَلْنا السَّيفَ بَيْنَ الخَدِّ مِنْهُ وَبَيْنَ سواد لُمَّتهِ عِذارا

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها، فالمراد من البيت أنّهم قد ضربوا عنقه، ولم يكاشف الشاعر المخاطب بهذا المعنى، بل جعله غامضًا، وقد أشار إليه إشارة.

وقد قسّم ابن رشيق الإشارة إلى أنواع منها: "التعريض، والتلويح، والكناية، والتمثيل، والرمز، واللغز، واللحن" وعرّفها جميعًا، ووضع شواهد تبيّن المراد منها، "فالرمز أصله الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثمّ استعمل حتى صار كالإشارة" (Al-Qayrawani, 1981).

وذهب الفرّاء إلى أنَّ "الرمز" يقع في الشفتين خاصّة في اللغة، كالتلويح باليد، والغمز في العين، وقد بيّن ابن رشيق ذلك وكيف استخدم كالإشارة إلى المعنى في الشعر، فبيّن الفرّاء تعدّد دلالات الإشارة وفق المراد منها، ففي قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ إشارة معناها التفخيم، وقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ هو إيماء (Al-Qayrawani, 1981)، ومن الرمز عند ابن رشيق: قول الشاعر (Al-Qayrawani, 1981):

"عَقَلْتُ لَهَا مِن زَوْجِها عدَدَ الحَصَى مع الصُّبحِ أَوْ مَع جُنحِ كُلِّ أصيلِ"

فمعناه لم يعط الزوجة بزوجها إلّا الهمَّ الذي يدعوها لعدّ الحصى، وهو رمز إلّا أنَّه قد قتله، أو قد كشف المراد منه خلال حال زوجته بعده.

وهذا قد أشار إليه ثعلب في قواعد الشعر، تحت الإفراط في الإغراق؛ إذ عدّه "الدلالة بالتعريض على التصريح (Tha’alab, 1995)، "فمن الإفراط في المدح قول تأبط شرًا، "يمدح شمس بن مالك (Tha’alab, 1995):

ويَسْبقُ وَفْدَ الرِّيحِ من حيث ينْتَحي بمنخرقٍ من شدِّهِ المتداركِ"

فقد جعل القوة والشدة له، وليس للفرس.

أمَّا لطافة المعنى لدى ثعلب في هذا الجانب، فهي تختلف عن الإفراط. وهي التعريض الحسن لمن يُحسن فهمه واستنباطه، "كقول مهلهل (Tha’alab, 1995):

يُبكى علينا ولا نَبْكي على أَحدٍ لَنَحْنُ أَغْلظُ أكباداً من الإبلِ"

وقول "عروة بن الورد (Tha’alab, 1995):

أُقَسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرة وأَحْسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ"

فالمعاني في البيتين السابقين لطيفة، يسهل استنباطها، بعيدة عن الإفراط والغلوّ، فالمراد من قول مهلهل الغِلظة والشدّة، والمراد من قول عروة إيثار الضيف بالزاد.

ويختلف "اللحن" عن الغموض الذي يبعد المعنى، فاللحن من أنواع الإشارة عند ابن رشيق، وهو كاللغز والمحاجاة، وهو كل "كلام يعرفه المخاطب بفحواه، وإن كان على غير وجهه، كقول "مهلهل للعبدين (Ibn Rasheeq, 1981):

مَنْ مُبْلِغ الحيَّينِ أنَّ مُهلْهِلاً للهِ دَرُّكما ودَرُّ أَبيكُمَا"

فيختلف اللحنُ عن المراد به عند النحاة في ترتيب اللفظ وأثره في بيان المعاني، فالمرادُ ببيت المهلهل يختلف في لحنه عن المراد في الترتيب "فاللغز" في قول المهلهل لا يكشف الترتيب، ولا علاقة الألفاظ ونظمها، بل هو أشبه بالأحجية المعروفة بين أشخاص يستطيعون كشف معاني مرادة من خلالها، فلا يفهم المراد منها إلّا من يعرفها، وهذا أقلّ بلاغة في "اللحن ذاته" ويجعله دون غيره من أنواع الإشارة في البلاغة. فالمعنى يبتعد وينغلق لأسباب عدة منها ما ذهب إليه المبرّد في هجنة اللفظ التي تبعد المعنى، كقول "الشاعر (Al-Mubarred, 1997):

وَمَا مِثْلُهُ في النَّاسِ إلَّا مُمَّلكاً أَبو أُمِّهِ أَبوهُ حيٌّ يُقاربُه"

يريد أنّه خاله بألفاظ بعيدة، وقعت غرابته في التقديم والتأخير، وقد أوردها المبرّد في معرض حديثه عن المعاني وعلاقتها بالألفاظ.

برز التعريض عند المبرد ولم يُسمِّهِ باسمه، ولكنّه عدّهُ من حسن الوصف والإفهام من خلال الألفاظ البينة القريبة، كقول الحطيئة (AL-mubarred, 1997):

وَذاك فتى إنْ تأْتِهِ في صَنيعةٍ إلى مالهِ لا تأْتِهِ بشفيعِ

فأراد الكرم.

ومن الإيماء قول الفرزدق "في الهجاء (AL-mubarred, 1997):

ضَرَبتْ عَلَيْكَ العنكبوتُ بنَسجِها وَقَضَى عَلَيْكَ بهِ الكتابُ المُنزلُ"

فتأويله أنَّ بيت جرير في العرب كبيت العنكبوت الواهن الضعيف، والمراد بالكتاب المنزل، وصف القرآن لبيت العنكبوت: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ (AL_Ankabot, verse 41).

ويكون الإيماء والتعريض في معاني الشعر كافة، فقد أوردت الشواهد المذكورة أنّ المراد بها المدح والذم والهجاء، والتضخيم والتهديد والفخر، وإيثار الضيف، والكرم.

ومن التعريض في القرآن الكريم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ فهو تعريض على الاستهزاء بأبي جهل (Ad-Dukhan,verse 49).

وقد ذهب المبرّد إلى أنَّ التعريض هو الاختصار النائب عن الإطالة، وهو الإيماء في المعنى إلى الشيء فينبغي عن كشفه، فقيل "لمحة دالة والاختصار المفهم" (Al-Mubarred, 1997)، وقد اتَّفق في هذا الفهم للمصطلح مع قدامة وثعلب، مع الاختلاف في الاصطلاح بينهم، فجعله قدامة (948) "الإشارة" وقال: "هو من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملًا على معانٍ كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها" (Ibn Ja`far, 1991)، ومنه قول الشاعر "يريد اللمحة الدالة على الكبر والهرم (Ibn Ja`far, 1991):

قد كانَ يُعْجبُ بَعْضَهُنَّ بَرَاعَتي حتى سَمِعْنَ تَنَحْنُحي وسُعالي"

وقد ذهب إليه ثعلب ولم يسمّه باسمه، وبيّن بأنّه الإيجاز أو الاختصار وهو كذلك اللمحة الدالة، والإيماء، فيقال: "أومأ فأغنى (Tha'alab, 1995) كقول الخنساء:

وَإنَّ صَـــخْراً لَتَـــــأتَمُّ الهُـــــداةُ به كأنّهُ علمٌ في رأسِه نارُ"

فقد عدَّه من الأبيات الغُرِّ، وقد بيّنته الدراسة سابقًا، وقد فضَّله ثعلب متفقًا مع المبرد وقدامة في الاختصار والإيجاز واللمحة الدالة، لأنّ سبيل المتكلم الإفهام، "وأسهل الكلام ما فهم من ابتدائه مراد قائله" (Tha'alab, 1995).

وقد تطرق النحاة للإشارات البعيدة الغلقة؛ إذ لم يكن التعريض والإيماء والاختصار كله مفهومًا، بل جاء فيه ما كان مشكلًا يستغلق فيه المعنى على المتلقين على اختلاف طبقاتهم، وهو ما شابَه الأحجية وقرب من الإفراط والغلو.

وقد ذهب الجرجاني إلى وقوع المعنى بين الحقيقة والمجاز في اللفظ، وهو من التلويح، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (Az-Zumar, verse 67)، فالحقيقة الظاهرة من اللفظ هي اليد، وفي المجاز هي القدرة (Al-Jurjani, 1992)، والتلويح ما يراد به المجاز لا الحقيقة. وقد استشهد بما ذهب إليه المبرد عن أصحاب المعاني، بأنّ المراد هنا القوة، ومثّله "قول الشَّماخ (Al-Jurjani, 1992):

إذا مَا رَايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرابَةُ باليَمينِ"

وقد جاء الاتّساع في الألفاظ من باب علاقة اللفظ بالمعنى عند النقاد ولا سيّما النحاة منهم، وقد عدّوه من أسباب المجاز والعدول عن الحقيقة في ظاهر القول، فلا يمكن تأويل الكلام على ظاهره؛ لوجود اتّساع وقع في الألفاظ، والاتّساع يأتي عند ابن جنّي وابن فارس في الخوف، بينما هو عند ابن رشيق تأويل ظاهر الكلام إلى أكثر من معنى تقوم على المجاز والمعاني الخفيّة، فيتبع التأويل، فدلالة الاتّساع عنده عائمة ليست واضحة المعالم، كما هي عند ابن جنّي وابن فارس.

وعرّف ابن رشيق "الاتساع" بأنّه: "أنْ يقول الشاعر بيتًا يتّسع فيه التأويل؛ فيأتي كلّ واحد بمعنى"لاحتمال اللفظ تعدد المعنى، ولقوّته واتّساع المعنى فيه، كقول "امرئ القيس (Ibn Rasheeq, 1981):

مِكرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ مَعًا كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ"

فقد يراد به أكثر من معنى، ويمكن تأوُّل المعنى فيه على أكثر من وجه، بينها الصلابة، ومنها السرعة.

فقد يذهب فريقٌ إلى أنَّ المراد من "معًا" إنّه يصلح للكرِّ والفرِّ، يعني جميع ذلك فيه، والمراد بحطّه السيل من علٍ "السرعة"، فيما قد يذهب آخرون إلى أنّك قد ترى بطنه وظهره، وإقباله وإدباره معًا، فيختلف المعنى لاختلاف المتأوّلين، وفي هذا اتّساع للمعنى جاء به اللفظ.

وقد عدّ ابن جنّي الاتّساع من باب شجاعة العربيّة، وهو من أسباب العدول عن الحقيقة (Ibn Jenni, 2020)، وهو من المجاز الذي يجعلك تحدّد المعنى المتأول من خلال بيان المحذوف، فالاتّساع لديه يقع في الحذف والقدرة على تأول المحذوف.

ويقع الحذف عنده في المضاف وفي المبتدأ وفي الخبر، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ (Muhammad, verse 21) أي المعنى المراد المترتب على الاتّساع هو قولنا: "أمرنا طاعةٌ وقولٌ معروف" وقد وقع في المبتدأ، والأولى لديه حذف الخبر، "إذ إنَّ الاتّساع بالأعجاز أولى من الصدور" (Ibn Jenni, 2020)، ومن حذف الخبر وبيان أنَّ الاتّساع في الأعجاز أولى من الصدور، اتّساع تأوّل المعنى بناءً على الحذف الذي قد يقع في المبتدأ أو في الخبر، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ (Al-Baqarah, verse 189) فإذا تأوّلنا الحذف قد حصل في المبتدأ، فيكون التأويل "ولكنّ ذا البرّ من اتّقى"، فتكون التقوى من صاحب البرّ المتأول على الاتّساع، ويمكن أن يقع في الخبر ويأتي التأوّل: "ولكنّ البرّ برُّ من اتّقى"، فيختلف المعنى.

وقد حمل النحاةُ المعنى على الاتّساع من قبلُ، وعدُّوه من وجوه الزيادة في المعنى مع القدرة على حذف اللفظ، وتأوُّله حاصل من خلال اللفظ المصرَّح به، "فأنشد أبو عبيدة (Al-Farsi, 1988):

مرَّتْ بنا في نُسْوَةٍ خَوْلَةٌ والمِسْكُ من أرْدَانِها فَائحَة"

فالتقدير فيه: رائحة المسك، وحمل الكلام عليه، وقد قادت علامة التأنيث في "فائحة إليه".

فيكشف هذا الفهم عناية النحاة بالمعنى، وإيجادهم سبل الوصول إليه من خلال فهمهم لعلاقة اللفظ به، ولعلاقة الألفاظ بعضها ببعض، وما ينتج عنها من دلالة، تقوم إمّا على الخفاء أو الحضور، فبيّنوا تأوّل المعنى القائم على التعريض والإيماء والاختصار والإيجاز، وما يمكن أن يقدّمه الإيجاز من بلاغة في المعاني، وبيّنوا علاقة الاتّساع في الحذف الذي يخدم بلاغة الكلام من خلال حذف اللفظ، وإبقاء دلالته وتأوّله؛ لكشف التعدّد الدلالي.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أنَّ النحاة قد استطاعوا توجيه قضية ثنائية اللفظ والمعنى وجهةً تكشف فهم ضرورة ارتباطهما لديهم، فنتجت لديهم مصطلحاتهم النقدية الخاصة، ودلالاتها التي أغنت دراسة تلك الثنائية وأثرتها، فبيّنوا أنَّ اللفظ ليس وعاءَ حفظ المعاني، وبيان أساليب التعبير عنها، فوضعوا شروطه منفردًا، وتوقفوا عند علاقته مع غيره من الألفاظ على مستوى التركيب، فالمعاني تنتج من هذه العلاقة التي استقرَّت أخيرًا عند عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، فما جاء به عبد القاهر الجرجاني يمثّل عُصارة خمسة قرون من التفكير النقدي عند النحاة؛ لبيان فهمهم بلاغة النص والخطاب في القرآن الكريم، وفي الشعر والنثر أيضًا، كما خلصت الدراسة إلى أنّ النحاة قد أثروا النقد الأدبي العربي فيما يتعلق بثنائية اللفظ والمعنى بحقل من المصطلحات

النقدية الوافرة، وفي معرض ردِّهم على المعتزلة والمتكلّمين، وعلى من نادى بالمعاني العقلية الظاهرة على مستوى اللفظ منفردًا، فعلاقة اللفظ بالمعنى لديهم قامت على الترابط واللزوم؛ إذ ردّوا الفصل بينها، ولم يقبلوه، وكشف هذا التلازم عناية النحاة بالمعاني، من خلال فهمهم صفات اللفظ على مستوى الكلمة، وعلاقته بغيره من الألفاظ على مستوى التركيب، وما ينتج عنها من معانٍ ودلالات.

Reference:

1. Abu Ali Al-Farsi, A. H. A. A. G. (987). *The book of poetry or explanation of the problematic verses Al-Irab* (M. M. Al-Tanahi, Ed., 1st ed.). Al-Khanji Library.
2. Abu Jaafar Al-Nahhas, A. M. (949). *The meanings of the Qur'an* (M. A. Al-Sabouni, Ed., 1st ed.). Umm Al-Qura University.
3. Amin, A. (n.d.). *Duha Al-Islam* (10th ed.). Dar Al-Kitab Al-Arabi.
4. Al-Akhfash, A. H. M. (830). *The meanings of the Qur'an* (H. M. Qara'a, Ed., 1st ed.). Al-Khanji Library.
5. Al-Amidi, A. Q. H. B. (980). *Balancing the poetry of Abu Tammam and Al-Buhturi* (A. Saqr, Ed., 1st ed.). Dar Al-Maaref & Al-Khanji Library.
6. Al-Askari, A. H. A. A. (1004). *The two industries* (A. M. Al-Bedjawi & M. A. Al-Fadl Ibrahim, Eds.). Al-Asriya Library.
7. Al-Farraa, A. Z. Y. Z. (822). *The meanings of the Qur'an* (A. Y. Al-Najashi, M. A. Al-Najjar, & A. I. Al-Shalabi, Eds., 1st ed.). Dar Al-Masriya for Authorship and Translation.
8. Al-Ghallas, I. S. S. A. I. (923). *The meanings and syntax of the Qur'an* (A. J. A. Shalabi, Ed., 1st ed.). World of Books.
9. Al-Hatimi, A. A. M. H. M. (998). *The ornament of the lecture in the poetry industry* (J. Al-Kettani, Ed., 1st ed.). Dar Al-Rasheed.
10. Al-Jahiz, A. B. B. (868). *Al-Animal* (2nd ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
11. Al-Jurjani, A. A. (976). *Mediation between Al-Mutanabbi and his opponents* (M. A. A. Ibrahim & A. M. Al-Bajawi, Eds.). Issa Al-Babi & Co. Press.
12. Al-Jurjani, A. Q. (1078). *Asrar al-Balaghah* (M. M. Shaker, Ed., 3rd ed.). Al-Madani Press.
13. Al-Jurjani, A. Q. (1078). *Evidence of miracles* (M. M. Shaker, Ed., 3rd ed.). Al-Madani Press.
14. Al-Marzubani, A. O. A. M. I. M. (994). *Al-Muwashshah fi Ma'asiq al-Ulama al-Shu'ara* (M. H. Shams al-Din, Ed., 1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
15. Al-Mubarrad, A. A. M. Y. (898). *Kitab al-Balaghah* (R. A. Al-Tawab, Ed., 2nd ed.). Library of Religious Culture.
16. Al-Mubarrad, A. A. M. Y. (899). *Al-Kamil in language and literature* (M. A. Al-Fadl Ibrahim, Ed., 3rd ed.). Dar Al-Fikr Al-Arabi.
17. Al-Mubarrad, M. Y. (898). *The brief book* (M. A. Al-Khaliq Azima, Ed.). Dar Alam al-Kutub.
18. Al-Qayrawani, A. A. H. R. (1070). *Al-Omda fi Mahasin al-Poetry and Literature* (M. M. A. Majeed, Ed., 5th ed.). Dar Al-Jeel.
19. Al-Rumani, A. I. A. (994). *Risalat Al-Hudud* (I. Al-Samarrai, Ed.). Dar Al-Fikr.
20. Al-Rumani, Ali bin Issa bin Abdullah, Abu Al-Hassan (994). *Jokes in the Miracle of the Noble Qur'an* (M. K. Allah & M. Z. Salam, Eds.). Dar Al-Maaref, Cairo, 3rd Edition, 1976.
21. Al-Sirafi, A. S. H. A. (995). *Explanation of the Book of Sibawayh's Verses* (M. A. R. Hashem, Ed., T. A. Raouf, Rev., 1st ed.). Al-Azhar Colleges Library, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.
22. Al-Thaalbi, A. M. A. M. M. I. (940). *Miracles and brevity.* Qur'an Library.
23. Glass, I. S. S. A. I. (923). *The meanings and syntax of the Qur'an* (A. J. A. Shalabi, Ed., 1st ed.). World of Books.
24. Ibn al-Anbari, A. B. M. Q. (939). *Explanation of the seven long poems of the pre-Islamic era* (A. A. Haroun, Ed., 5th ed.). Dar Al-Maaref.
25. Ibn Jaafar, Q. A. F. Q. Z. B. (948). *Criticism of poetry* (1st ed.). Al-Jawa'ib Press.
26. Ibn Jenni, A. F. O. (1001). *Characteristics* (4th ed.). The Egyptian General Book Organization.
27. Ibn Qutaybah, A. M. A. M. D. (889). *Poetry and poets* (1st ed.). Dar Al-Hadith.
28. Ibn Qutaybah, A. M. A. M. D. (889). *Interpretation of the problem of the Qur'an* (I. S. Al-Din, Ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
29. Ibn Qutaybah, A. M. A. M. D. (889). *The book of difference in pronunciation and the response to Jahmiyyah* (M. A. Omar, Ed., 1st ed.). Dar Al-Raya.
30. Ibn Tabateba Al-Alawi, M. H. A. H. (933). *The height of poetry* (A. A. N. Al-Mana, Ed.). Al-Khanji Library.
31. Qassab, W. (1985). *The critical and rhetorical heritage of the Mu'tazila until the end of the sixth century AH.* Dar Al-Thaqafa.
32. Salam, M. Z. (n.d.). *The impact of the Qur'an on the development of Arab criticism to the end of the fourth century AH* (M. K. A. Ahmed, Pref.). Youth Library.

33. Sibawayh, A. O. Q. A. B. (796). *The book* (A. S. Haroun, Ed., 3rd ed.). Al-Khanji Library.

34. Tha'lab, A. A. A. Y. (903). The rules of poetry (R. A. Al-Tawwab, Ed., 2nd ed.). Al-Khanji Library.